

ملخص برنامج [دليل المسافر] / الشيخ الغزي - الحلقة ٥٦

www.alqamar.tv

● هذا هو الجزء الرابع من زُبدة المَخْض.. وصلَ الكلامُ بنا في الحلقة الماضية إلى المَلْمَحِ الثاني من ملامح الدين السبروتي.. تقدّم الكلامُ في مَلْمَحٍ من ملامح هذا الدين الذي اخترعه وابتدعه السباريتُ من مراجع الشيعة زمن الغيبة الكبرى.

مرّ الحديث عن مَلْمَحٍ مفاهيميٍّ وهو أنّ هذا الدين حبسَ نفسه في مرحلة التنزيل التي نُسخَتْ بمرحلة التّأويل.

ثمّ نقلتُ الحديثَ إلى مَلْمَحٍ آخر وهو مَلْمَحٌ من ملامح الدين السبروتي العقائديّة.. مَلْمَحٌ واضح عند هؤلاء السباريت حيثُ يُنكرون إمامةَ فاطمة "صلواتُ الله وسلامه عليها" وهي أحدُ أئمةِ الأئمةِ الثلاثة (مُحمَّدٌ ، عليٌّ ، فاطمة) إنهم أئمةُ الأئمة.

● وعدتكم أن أفتحَ شاشاتٍ مُتعدّدةً نتناولُ هذا الموضوع: إثباتُ إمامةِ فاطمة "صلواتُ الله وسلامه عليها"

الشاشةُ الأولى التي أفتحها بين أيديكم أعنونها: شاشةُ القرآن.. كلُّ شاشةٍ تشتملُ على صُورٍ، على لَقَطَاتٍ، على لوحاتٍ.. وبعد أن يكتملَ الحديثُ في عرضِ هذه الشاشات يُمكنكم أن تستنتجوا النتيجةَ النهائيّةَ الحاصلةَ من كلِّ ما عرَضَ في هذه الشاشات.. وأعتقدُ أنّ الذين تابعوني في برنامج [الأمان الأمان يا صاحب الزمان] يعرفونَ أسلوبِي وطريقتي في عرَضِ المطالبِ العقائديّةِ وإثباتها من خلالِ هذا الأسلوبِ (أسلوبُ الشاشاتِ المُتعدّدة).

● الشاشةُ الأولى: شاشةُ القرآن

❖ الصورة (١): ما يرتبطُ بأجواءِ الإمامةِ ما بين آيةِ إمامةِ إبراهيم وما جاء بخصوصها.

أهمُّ آيةٍ في الكتاب الكريم بحسب الثقافة الشيعية تتناول مسألة الإمامة وهي الآية ١٢٤ بعد البسمة من سورة البقرة.. هذه الآية هي الأصل، هي الآية الأهم حينما يكون الحديث عن الإمامة لفظاً واصطلاحاً في أجواء الثقافة الشيعية.

*يقول عز وجل في الآية ١٢٤ بعد البسمة من سورة البقرة: {وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين}.

إمامة إبراهيم تنفرغ عن تلك الكلمات التي صارت تامّة بحقّه فيما يرتبط بشأنه، بعلمه، بمعرفته، بنبوّته، برسالته، بكلّ ما يرتبط بالخليل إبراهيم.

واضح من النظرة الأولى أنّ إمامته تنفرغ على حقيقة تلك الكلمات.. هذه هي الآية الأوضح في الحديث عن الإمامة لفظاً واصطلاحاً.

◆ وقفة عند مقطع من حديث الإمام الصادق "عليه السلام" في كتاب [الخصال] للشيخ الصدوق، صفحة ٣٣٥ الحديث: (٨٤)

(يقول المفضل للإمام الصادق "صلوات الله عليه": سألته عن قول الله عز وجل: {وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات} ما هذه الكلمات؟ قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، وهو أنه قال: يا رب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا ثبت عليّ، فتاب الله عليه إنه هو التواب الرحيم. فقلت له: يا بن رسول الله فما يعني عز وجل بقوله: {فاتمهن}؟ قال: يعني فاتمهن إلى القائم اثني عشر إماماً تسعة من ولد الحسين. قال المفضل: فقلت له: يا بن رسول الله، فأخبرني عن قول الله عز وجل: {وجعلها كلمة باقية في عقبه}؟ قال: يعني بذلك الإمامة جعلها الله في عقب الحسين إلى يوم القيامة..).

الآية في كلّ ما يرتبط بها والبيانات المعصومية بخصوصها تتحرّك في أجواء الإمامة.. فالحديث في أجواء الإمامة من أوله إلى آخره.. فهل يستطيع أحد أن يخرج فاطمة من جو الإمامة هذا..؟! على أيّ أساس؟!

● قوله: (هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه) الكلمات التي ذكرتها سورة البقرة نفسها في الآية ٣٧ بعد البسمة من سورة البقرة في تفاصيل قصة

خِلافةِ أبينا آدم.. بعد أن هبطوا إلى الأرض.. قوله عزّ وجلّ: {.. وَقُلْنَا اهْبِطُوا
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ
رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}.

معروفةً هذه الكلمات لديكم، وهي: (يا محمودُ بحقِّ مُحَمَّدٍ، ويا عالي بحقِّ عليٍّ،
ويا فاطمُ بحقِّ فاطمة، ويا مُحسِنُ بحقِّ الحسن، ويا قديم الإحسانِ بحقِّ الحسين)
هذا هو المضمون، ربّما تعدّدت الصيغ.

حين سأل المُفضّل إمامنا الصادق عن كلمات إبراهيم، قال: هي كلمات آدم ولكنّ
الله أتمّها لإبراهيم ولذا صار إماماً.. لم تُحدّثنا النصوصُ عن إمامة لأبينا آدم،
أبونا آدم كان نبياً لم يكن رسولاً.. الإمامة مرتبة أعلى من الرسالة. إمامة الأنبياءِ
أعلى رتبةً من رسالتهم، ورسالتهم أعلى رتبةً من نبوتهم.. والروايات صريحةٌ
في أنّ إبراهيم نال الرسالة بعد النبوة، ثمّ نال الإمامة بعد الرسالة.

• الإمام الصادق أشار إلى اثني عشر إماماً.. إنها سلسلة الأئمة الإثني عشر
وهي سلسلة مُتفرّعة عن السلسلة الأم.. السلسلة الأم هي الأئمة الأربعة عشر..
وسياتي الحديث عن سلسلة الإمامة الأم وعن السلاسل المُتفرّعة منها.

• قد يقول قائلٌ: ولكنّ الإمام الصادق أشار إلى الأئمة الإثني عشر..

وأقول: فهل رسولُ الله من جُملة الأئمة الإثني عشر، وهو إمام الأئمة طُراً؟
هذه سلسلة فرعية من سلاسل الإمامة، السلسلة الأم إنهم الأئمة الأربعة عشر.

• تدبّروا في الآية: {وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ} هناك كلمات تمّت
في شأن إبراهيم، وفي ضوء ذلك تمّت له الإمامة.. فإمامته مُتفرّعة من كلّ تلك
الكلمات.. فهل يُمكن أن تتفرّع الإمامة من كلّ تلك الكلمات وكلمة فيها خلية من
الإمامة؟! أيّ منطقٍ هذا..؟! الآية في كلّ آفاقها وفي كلّ ما يُحيطُ بها مع حديثِ
الصادق "صلواتُ الله وسلامه عليه" كلّ ذلك يُعلنُ صراحةً أنّ فاطمة هي في
مركز دائرة الإمامة لأنّها أحد أئمة الأئمة الثلاثة.

لا أعتقدُ أنّ شيعياً يتعاملُ بصدقٍ مع الكتاب الكريم باحثاً عن الحقيقة وهو يلتزمُ
ببيعة الغدير ويأخذُ تفسير القرآن عن عليٍّ وآل عليٍّ يُمازجُ بين هذه الآية التي
هي من أبرز آيات الإمامة في الثقافة الشيعية.. لا أعتقدُ أنّ أحداً يُمازجُ بين

الآية وبين ما جاء في أحاديثهم ولن يقطع قطعاً نهائياً بإمامتها.. بل هي في مركز الإمامة (هي أحد أئمة الأئمة الثلاثة "صلوات الله وسلامه عليها وعليهم أجمعين").

* في نفس هذا الاتجاه.. مدارُ الأنبياءِ حول هذه الكلمات وفاطمة في مركزها.. في الآية ٦٠ بعد البسملة من سورة البقرة والتي تتحدث عن واقعة الاستسقاء الموسوي في تاريخ بني إسرائيل، قوله عز وجل: {وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين}.

♦ وقفة عند حديث إمامنا الحسن العسكري "صلوات الله عليه" في تفسيره الشريف بخصوص هذه الآية.. يقول في الحديث: (١٢٩)

(ثم قال الله عز وجل: {وإذ استسقى موسى لقومه} قال: واذكروا يا بني إسرائيل إذ استسقى موسى لقومه، طلب لهم السقيا لما لحقهم العطش في التيه، وضجوا بالبكاء إلى موسى، وقالوا: أهلكنا العطش. فقال موسى: اللهم بحق محمد سيد الأنبياء، وبحق علي سيد الأوصياء وبحق فاطمة سيّدة النساء، وبحق الحسن سيّد الأولياء، وبحق الحسين سيّد الشهداء وبحق عترتهم وخلفائهم سادة الأزكياء لما سقيت عبادك هؤلاء. فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى: {اضرب بعصاك الحجر} فضربه بها، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا...).

هذه الكلمات هي مدارُ عقيدة الأنبياء وفاطمة في مركز كل ذلك.

هذا أنموذج من سيرة موسى النبي.. هذا الواقع يجري مع كل الأنبياء وهذا الواقع يتجلى في الكثير والكثير من الأحاديث التي وصلت إلينا منهم "صلوات الله وسلامه عليهم" وهم يُخبروننا عن أحوال الأنبياء.. مع الالتفات إلى أنّ الأحاديث لم تصل إلينا كاملةً فيما يرتبط بشؤون الأنبياء، لأنهم حدثونا عن بعض شؤون الأنبياء.

♦ الصورة (٢): وقفة عند أهم الأوصاف وأهم العناوين للإمامة في القرآن.

*في الآية ٧٣ بعد البسمة وما بعدها من سورة ص في قصة خلافة أبينا آدم، قوله عز وجل: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين * قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين}.

واضح من الآية أن "العالين" لا يسجدون لأحد.. سجدوهم لله سبحانه وتعالى فقط.. فمن هم هؤلاء "العالون"؟!!

♦ وقفة عند حديث رسول الله "صلى الله عليه وآله" في كتاب [فضائل الشيعة] للشيخ الصدوق - الحديث: (٧)

(بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: كنا جلوساً عند رسول الله، إذ أقبل إليه رجل، فقال: يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل لإبليس: {أستكبرت أم كنت من العالين} فمن هم يا رسول الله - العالين - الذين هم أعلى من الملائكة؟ قال رسول الله: أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين - فاطمة في المركز - كنا في سرادق العرش نُسبِحُ الله ونُسبِحُ الملائكة بتسبيحنا قبل أن يخلق الله عز وجل آدم بألفي عام .

فلما خلق الله عز وجل آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له، ولم يأمرنا بالسجود، فسجدت الملائكة كلهم إلا إبليس فإنه أبى ولم يسجد. فقال الله تبارك وتعالى: {أستكبرت أم كنت من العالين} عنى من هؤلاء الخمسة المكتوبة أسماؤهم في سرادق العرش؟! فنحن باب الله الذي يؤتى منه، بنا يهتدي المهتدون، فمن أحبنا أحبه الله وأسكنه جنته، ومن أبغضنا أبغضه الله وأسكنه ناره، ولا يُحبُّنا إلا من طاب مولده).

العالون هنا هم أئمة الوجود.. هم أئمة آدم وأئمة الملائكة الذين سجدوا لآدم وكان السجود في حقيقته لهم "صلوات الله عليهم" وليس لآدم، لنور من أنوارهم شمع في آدم. فمن يكون من أئمة الوجود وهو أعلى من الجميع كيف لا يكون إماماً في عالم التراب وفي عالم الأرض؟! أي منطق أعوج هذا..؟!!

• قوله: (كنا في سرادق العرش نُسبِحُ الله، ونُسبِحُ الملائكة بتسبيحنا) في صلواتنا، في صلوات الجماعة.. إمام الجماعة حين يُسبِحُ فنحن نُسبِحُ خلف إمام

الجماعة.. تلك هي صورة لتسييح الملائكة المأمومين بمحمد وآل محمد.. فهم أئمة الوجود.

• هؤلاء العالون هم الخالدون الذين جاء ذكرهم على لسان إبليس، مثلما جاء في سورة الأعراف في الآية ٢٠ بعد البسملة حيث الحديث في سياق قصة أبينا آدم وأمنا حواء مع إبليس.. قوله عز وجل: {.. وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين} الخالدون هنا هم العالون. فاطمة هناك في العالين، وفاطمة هنا في الخالدين، وفاطمة نور يتلأأ في كل صقع من أصقاع قرآنا وكتابنا الكريم هذا.

* في الآية ٦١ بعد البسملة من سورة آل عمران، قوله عز وجل: {فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين}.

هؤلاء هم الذين تحدثت عنهم كلمات أبينا آدم، وكلمات الخليل إبراهيم، إنهم الكلمات التي توصل بها موسى عند الاستسقاء.. وهكذا سائر الأنبياء.. إنهم العالون، الأئمة الأعلى رتبة في هذا الوجود.. إنهم الخالدون.

• قوله: {فنجعل لعنة الله على الكاذبين} هناك في الآية صادقون وهناك كاذبون.. أبناءنا هم الصادقون وأبنائكم ليسوا صادقين.. ونساءنا : إنها فاطمة سيده الصادقين وأصدق الصادقين.. وأنفسنا وأنفسكم.. هؤلاء هم الصادقون، لأن اللعنة ستحل على الكاذبين لو أن المبالغة قد حدثت على أرض الواقع.

الصادقون هم، وهذا هو وصفهم في سورة التوبة.. في الآية ١١٩ من سورة التوبة قوله عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكُونُوا مع الصادقين}.

♦ وقفة عند حديث الإمام الباقر "صلوات الله عليه" في [الكافي الشريف: ج ١] صفحة ٢٣٣ الحديث (١) باب ما فرض الله عز وجل ورسوله "صلى الله عليه وآله" من الكون مع الأئمة "صلوات الله عليهم".

(عن بُريد بن معاوية العجلي قال: سألت أبا جعفر "الباقر عليه السلام" عن قول الله عز وجل: {اتقوا الله وكُونُوا مع الصادقين} قال: إيانا عنى).

♦ وقفة عند مقطع من حديث سيد الأوصياء "صلوات الله عليه" في [تفسير الإمام العسكري] في صفحة ٦١٣ الحديث (٣٧٤)، مما جاء فيه، يقول وهو يتحدث عن واقعة المباهلة:

(هلموا الآن نبتل فنجعل لعنة الله على الكاذبين...) إلى أن يقول سيد الأوصياء "صلوات الله عليه": (ميز الله بذلك الصادقين من الكاذبين. فجعل محمداً وعلياً وفاطمة والحسن والحسين أصدق الصادقين وأفضل المؤمنين...).

وهذه الآية {اتقوا الله وكونوا مع الصادقين} من الآيات الصريحة والواضحة في إمامتهم بحسب ثقافة الكتاب والعترة.. وفاطمة سيده في هذه الآية، إنها أصدق الصادقين.

• هذه المضامين هي هي تقودنا إلى سورة الأحزاب، إلى الآية (٣٣) بعد البسمة وهي آية التطهير.. إنها آية فاطمة.. فاطمة الزهراء سيده هذه الآية، قوله عز وجل: {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا}.

الآية بالإجمال تتحدث عن العصمة، والعصمة تعني الإمامة.. إنها عصمة الإمامة.

الخطاب في الآية يتوجه إلى محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين.. (محمد إمام، علي إمام، الحسن إمام، الحسين إمام.. فلماذا نخرج فاطمة وهي سيده هذه الآية، لماذا نخرجها من الإمامة؟! ما هذا الغباء؟! ما هذه حماقة؟! ما هذا الخذلان؟! ما هذا الجفاء مع فاطمة "صلوات الله وسلامه عليها"؟!..). الآية واضحة صريحة، وهي في سياق تلك الآيات التي مرت.

لا أريد أن أتكم بالأحاديث الكثيرة التي تتحدث عن فاطمة وهي سيده هذه الآية.. فكل الطهارة وكل العصمة وكل التطهير وكل الفضل في هذه الآية ثابت لفاطمة بالأصالة.. هي السيده في هذه الآية، فكيف نخرجها من الإمامة وهي المركز الحقيقي هنا كما يشير إلى ذلك حديث الكساء الفاطمي.. حين سأل جبرئيل الباري سبحانه وتعالى: (يا رب.. ومن تحت الكساء؟ فقال الله عز وجل: هم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، هم فاطمة وأبوها وبعلمها وبنوها) هي

المحور "صلواتُ الله وسلامهُ عليها" .. هي محور الآية فكيف نُخرجها من الآية..؟! أيُّ غباءٍ عند الشيعة؟! أيُّ حماقة؟! أيُّ جهالة..؟!!

*في الآية ٧٧ بعد البسملة وما بعدها من سُورة الواقعة، قوله عزَّ وجلَّ: {إنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}.

المُطَهَّرُونَ هُم "صلواتُ الله عليهم". هل يُمكن أن تكونَ فاطمةُ خارجةً من هذه الآيات؟!!

المُطَهَّرُونَ هُوَ لَاءِ هُمُ الصَّادِقُونَ، هُمُ الْخَالِدُونَ، وَهُمُ الْعَالُونَ.. هُوَ لَاءِ هُمُ الَّذِينَ جَاءَ ذِكْرُهُمْ فِي آيَةِ الْمُبَاهَلَةِ وَفِي آيَةِ التَّطْهِيرِ، بَلْ فِي كُلِّ الْكِتَابِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ.

•قوله: {إنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ} ليس الحديثُ هُنَا عن المُصْحَفِ.. لم يردْ في كلماتِ أَهْلِ الْبَيْتِ أَنْ وَصَفُوا الْمُصْحَفَ أَنَّهُ قُرْآنٌ كَرِيمٌ.. قَالُوا عَنْهُ قُرْآنٌ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَصِفُوا الْمُصْحَفَ بِأَنَّهُ قُرْآنٌ كَرِيمٌ.. هَذَا مُصْطَلَحٌ خَاصٌّ بِمُضْمُونِ الْمُعْصُومِ، هَذَا هُوَ قَلْبُ الْمُعْصُومِ.

•قوله: {لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} المُطَهَّرُونَ هُمُ الَّذِينَ تَتِمَّازُجُ حَقَائِقُهُمْ بِهَذَا الْمُضْمُونِ الَّذِي عُنُونُ بـ(القُرْآنِ الْكَرِيمِ).. أَمَّا الْمُصْحَفُ فَتِلْكَ سُورَةٌ جَامِدَةٌ لَفْظِيَّةٌ مَخْطُوطَةٌ خَطَّهَا الْإِنْسَانُ بِيَدِهِ عَلَى وَرَقٍ مِنْ صِنَاعَةِ الْإِنْسَانِ.

المُطَهَّرُونَ هُمُ أُنْمَةُ الْكُونِ، وَفَاطِمَةُ فِي رَأْسِ الْقَائِمَةِ، فِي أَوَّلِ السَّلْسَلَةِ (مُحَمَّدٌ، عَلِيٌّ، فَاطِمَةُ) هُوَ لَاءِ هُمُ الْمُطَهَّرُونَ.. ثُمَّ تَسْتَمُرُّ السَّلْسَلَةُ الْمُطَهَّرَةَ مِنَ الْمُجْتَنَبِيِّ إِلَى الْقَائِمِ.. أَوْلَئِكَ هُمُ الَّذِينَ تَحَدَّثَتْ عَنْهُمْ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ وَهِيَ تُشَخِّصُ أَهَمَّ وَصْفٍ مِنْ أَوْصَافِ الْإِمَامَةِ عَلَى الْأَرْضِ.. فِي الْآيَةِ ٧ بَعْدَ الْبِسْمَلَةِ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ..} إِلَى أَنْ تَقُولَ الْآيَةَ: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ...}.

الآيَةُ هُنَا وَضَعَتْ الْعُنْوَانَ الْعِلْمِيَّ وَالْعَمَلِيَّ الْأَبْرَزَ لِلْإِمَامَةِ الْفَعْلِيَّةِ فِي عَالَمِنَا الْأَرْضِيِّ.. فَهَلْ يَتِمَكَّنُ أَحَدٌ أَنْ يُخْرِجَ فَاطِمَةَ مِنْ هَذَا الْعُنْوَانِ؟!!

* في الآية ١٠٥ من سورة التوبة، قوله عز وجل: {وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسِرَى اللّٰهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ اِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.

المؤمنون هنا هم العالون أئمة الوجود، هم الخالدون، هم الصادقون، وفاطمة أصدق الصادقين، هم أصحاب آية المباهلة، هم أصحاب آية التطهير، هم المطهرون في سورة الواقعة، وهم الراسخون في العلم في سورة آل عمران.. هم هم أنفسهم هؤلاء "المؤمنون".

♦ وقفة عند حديث الإمام الصادق "عليه السلام" في كتاب [الأمالي] للشيخ الطوسي.. صفحة ٤٠٩ الحديث: (٩١٨)

(بسند من ابن أذينة، قال: كنت عند أبي عبد الله "عليه السلام" فقلت له: جعلت فداك، أخبرني عن قول الله عز وجل: {وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسِرَى اللّٰهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} قال: إيانا عنى).

• قوله: (قال: إيانا عنى) هذا التعبير تعبيرٌ يتردد ويتكرر في كلماتهم حينما يتحدث عن آيات القرآن التي ترتبط بهم "صلوات الله وسلامه عليهم".

♦ وقفة عند حديث الإمام الصادق "عليه السلام" في كتاب [الكافي الشريف: ج ١] صفحة ٢٤٥ - باب عرض الأعمال على النبي والأئمة.. الحديث: (٢)

(بسند من يعقوب بن شعيب، قال: سألت أبا عبد الله "عليه السلام" عن قول الله عز وجل: {وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسِرَى اللّٰهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} قال: هم الأئمة).

الأئمة: محمد، علي، فاطمة.... إلى القائم "صلوات الله وسلامه عليهم".

• وقفة عند تطبيق عملي بخصوص فاطمة "صلوات الله وسلامه عليها".

♦ وقفة عند مقطع من حديث الإمام الصادق "صلوات الله عليه" في كتاب [كامل الزيارات] الباب (٢٧) الحديث: (١٦)

(يقول الإمام الصادق "صلواتُ الله عليه": إذا زرتم أبا عبد الله - الحسين "صلواتُ الله عليه" - فالزموا الصمتَ إلا من خير..).

إلى أن يقول وهو يتحدث في التفاصيل ويبيِّن لنا لماذا يُوجِّهنا إمامنا إلى هذا الأدب وهو التزام الصمت إذا زُرنا الحسين "صلواتُ الله عليه"، يقول: (وإنها - أي فاطمة الزهراء - لَتَنْتَظِرُ إِلَى مَنْ حَضَرَ مِنْكُمْ فَتَسْأَلُ اللَّهَ لَهُمْ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ..).

هذه صورةٌ عمليَّةٌ لِنَظَرِ فَاطِمَةَ.. فَاطِمَةُ هِيَ فِي رَأْسِ السَّلْسَلَةِ فِي هَذَا الْعُنْوَانِ "الْمُؤْمِنُونَ" .. {وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}.

هذا العُنوانُ فِي أَصْلِهِ وَفِي حَقِيقَتِهِ فِي مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ "صلواتُ الله وسلامهُ عليهم".

* فِي الْآيَةِ (١) بَعْدَ الْبِسْمَلَةِ مِنْ سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ}.

♦ وَقَفَّةٌ عِنْدَ حَدِيثِ إِمَامِنَا الْكَاسِمِ "صلواتُ الله عليه" فِي [تَفْسِيرِ الْبِرْهَانِ: ج ٥] صَفْحَةَ ٣٢٦ الْحَدِيثِ (١) وَهُوَ مَنْقُولٌ عَنِ تَفْسِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ (وَهُوَ مِنْ جَوَامِعِ الْأَحَادِيثِ التَّفْسِيرِيَّةِ عَنِ الْأُمَّةِ.. لَيْسَ مَوْجُوداً بَيْنَ أَيْدِينَا الْآنَ، رَوَايَاتُهُ مَبْنُوثَةٌ فِي الْكُتُبِ).

(بِسْنَدِهِ عَنِ عَيْسَى بْنِ دَاوُدَ، عَنِ إِمَامِنَا مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، عَنِ أَبِيهِ "عليهما السلام" فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} - إِلَى قَوْلِهِ - {الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} قَالَ: نَزَلَتْ فِي رَسُولِ اللَّهِ وَفِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ "صلواتُ الله عليهم أجمعين").

هَذَا الْعُنْوَانُ "الْمُؤْمِنُونَ" عُنْوَانٌ أَصِيلٌ مُتَأَصِّلٌ فِيهِمْ "صلواتُ الله وسلامهُ عليهم".. وَفَاطِمَةُ فِي رَأْسِ السَّلْسَلَةِ، هِيَ فِي الْمَرْكَزِ.. هَذِهِ مُعْطِيَاتُ أَجْوَاءِ الْإِمَامَةِ فِي الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ وَالرَّوَايَاتِ وَخُصُوصاً فِي الْأَحَادِيثِ التَّفْسِيرِيَّةِ فِي تَفْسِيرِهِمْ لِلْقُرْآنِ.. (مَنْ لَمْ يَعْرِفْ أَمْرَنَا مِنَ الْقُرْآنِ لَمْ يَتَنَكَّبِ الْفِتْنَ) كَمَا يَقُولُ إِمَامُنَا الصَّادِقُ "صلواتُ الله وسلامهُ عليه".

هذه المُعطياتُ ما بين الآياتِ وما بين الأحاديثِ تضعُ فاطمةً في مركزِ منظومةِ الإمامةِ.. لبديةِ عقائديَّةِ علويَّةِ فاطميَّةِ مهديَّةِ وهي أنَّها أحدُ أئمةِ الأئمةِ.. فأئمةُ الأئمةِ ثلاثةُ (مُحمَّدٌ، عليٌّ، فاطمة) فكيف لا تكونُ فاطمةُ إماماً لنا..؟! إنَّها إمامٌ لأئمَّتنا، إنَّها إمامٌ لإمامِ زماننا.. فهي إمامٌ لنا، فلماذا تُنكرون إمامتها..؟! الذي يُنكرُ إمامتها يُنكرُ إمامتهم جميعاً.. هذه قواعدُ العقيدةِ عند مُحمَّدٍ وآلِ مُحمَّدٍ.

ومثلما قلَّتُ في الحلقةِ الماضية: أنَّ الله يُريدُ أن يُعبدَ من حيثُ هو يُريدُ لا من حيثُ يُريدُ العبد.. كذلكُ إمامُ زماننا يُريدُ أن يُعرَفَ من حيثُ هو يُريدُ لا من حيثُ نحنُ نقترحُ، لا من حيثُ يُريدُ السباريت بسفاهتهم وجهلهم وحقاقتهم وضلالهم أن يُعرِّفونا إمام زماننا.

❖ الصورة (٣): عليٌّ كُفُوٌ لفاطمة، وفاطمة كُفُوٌ لعلِيٍّ.. وآثارُ هذه الكفاءة.

* في الآية ١١٩ بعد البسمة من سورة الرحمن وما بعدها من الآيات، قوله عزَّ وجلَّ:

{مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ.}

❖ وقفة عند حديث الإمام الصادق "عليه السلام" في كتاب [الخصال] للشيخ الصدوق - الحديث: (٩٦)

(بسندِهِ عن يحيى بن سعيد القطان قال: سمعتُ أبا عبد الله "الصادق عليه السلام" يقول في قوله عزَّ وجلَّ: {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ} قال: عليٌّ وفاطمة بحران من العِلمِ عميقان لا يبغِي أحدهما على صاحبه. {يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ} الحسن والحسين.)

عليٌّ كُفُوٌ لفاطمة وفاطمة كُفُوٌ لعلِيٍّ في جهةِ سِعةِ العِلمِ وعمقه.. وليس من كُفُوٍ لفاطمة إلا عليٌّ "صلواتُ الله وسلامه عليه".. كما يقولُ إمامنا الصادق "صلواتُ الله عليه": (لولا أنَّ الله تبارك وتعالى خلقَ أميرَ المؤمنين لفاطمة، ما كان لها كُفُوٌ على ظُهرِ الأرضِ من آدمٍ ومن دُونِهِ).

• قوله: (بينهما برزخ لا يبغيان) إن أريد من البغي (الظلم) فليس من ظلم يُمكننا أن نتصوره في هذه الأجواء.. إنها الإمامة النقيّة المُطهّرة من كلّ ظلم في كلّ مراتبه وأشكاله..

فالمُرَاد من الكفاءة هنا هي الإمامة، فعليّ إمامُ الأئمة من فاطمة إلى القائم، وفاطمة إمامُ الأئمة من المُجتبى إلى القائم.. ليس الحديث عن كفاءة إجتماعيّة.. فزواج عليّ من فاطمة وزواج فاطمة من عليّ هكذا عُنون في الملام الأعلَى أنه "زواج النور من النور".

وتفاصيلُ زواجهما كثيرةٌ جدًّا.. وليسَ الحديثُ هنا عن زواجهما "صلواتُ الله عليهما وآلهما الأطيبين الأطهرين".

وإن أريد من قوله: (لا يبغي أحدهما على صاحبه) الزيادة.. فالمُرَاد: أي لا يزيد أحدهما على صاحبه.. عليّ كفوٌّ لفاطمة وفاطمة كفوٌّ لعليّ، في منزلة واحدة، في مُستوى واحد.. ومَن لا يعتقِد بإمامة فاطمة فإنّه مُنكرٌ لإمامة عليّ.. لأنّ عليّاً يُريدُ منا أن نُقرَّ بإمامته من حيث هو يُريد لا من حيث علم الكلام يُريد ولا من حيث السباريت يُريدون.

• قوله: {يخرجُ منهما اللؤلؤ والمرجان} إنّها رُموزُ الإمامة الطاهرة.. لؤلؤ الإمامة إنّهُ الحَسَن المُجتبى، ومرجانها الأحمر هو الحسين "صلواتُ الله وسلامهُ عليهما".

* في الآية ٤٣ بعد البسمة من سورة الرعد: {ويقول الذين كفروا لست مُرسلاً قُل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علمُ الكتاب}.

عليّ هو الذي عنده علمُ الكتاب وعلمُ الكتاب هو العلمُ المُطلق، فالمُرَاد من الكتاب هو الحقيقة الجامعة، وعلمُ الكتاب هو علمُ الحقائق الجامعة، علمُ كلّ شيء.. وهو نفس المضمون الذي جاء في الآية ١٢ بعد البسمة من سورة يس، قوله عزّ وجلّ: {وكلّ شيءٍ أحصيناهُ في إمامٍ مُبينٍ} وعليّ هو الذي يقول: "أنا ذلك الإمام المُبين".. وهذه الآيات واضحةٌ في ثقافة الكتاب والعترة ولذا لا أُطيلُ الوقوف عند تفسيرها وعند تفاصيلها.

وَعَلَّمَ عَلِيٌّ هُوَ عَلَّمَ فَاطِمَةَ {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ* بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ} عَلِيٌّ
وفاطمة بحران من العِلْمِ عميقان ، لا يبغى أحدهما على صاحبه.

• ومن آثار هذه الكفاءة وآثار وحدة الإمامة بين عليٍّ وفاطمة.. ما جاء في بيان
معنى "خير العمل" هذا العنوان الذي يأتي ذكره في أذان الصلاة وفي الإقامة
وفي أي موطنٍ آخر.

♦ وقفة عند حديث الإمام الكاظم "عليه السلام" في كتاب [علل الشرائع: ج ٢]
باب ٨٩ نوارد علل الصلاة - الحديث: (٤)

(محمّد بن أبي عمير أنه سأل أبا الحسن "الإمام الكاظم عليه السلام" عن "حيّ
على خير العمل" لِمَ تُرِكَتْ مِنَ الْأَذَانِ؟ فقال: تُرِيدُ الْعِلَّةَ الظاهرة أو الباطنة؟
قلت: أريدُهما جميعاً، فقال: أَمَّا الْعِلَّةُ الظاهرة فلئلا يدع الناسُ الجهادَ إتكالاً على
الصلاة، وأَمَّا الباطنةُ - أي قصدهُ الحقيقي - فإنَّ خيرَ العمل: الولاية ، فأراد مَنْ
أمرَ بترك "حيّ على خير العمل" مِنَ الْأَذَانِ ألا يقع حثّاً عليها ودعاءً إليها.)

المُرَاد مِنَ الْعِلَّةِ الظاهرة هي الْعِلَّةُ التي تظاهر بها عُمَرُ بن الخطاب واعتذر
بها وهي عِلَّةٌ باطلة.. أَمَّا الْعِلَّةُ الباطنة فهي الحقيقةُ من فِعْلِ عُمَرَ.

♦ وقفة عند الحديث (٥) من نفس المصدر كتاب [علل الشرائع: ج ٢]:

(عن مُحمّد بن مروان عن أبي جعفر "الإمام الباقر عليه السلام" قال: أتدري
ما تفسيرُ حيّ على خير العمل؟ قال: قلتُ لا، قال: دعاك إلى البرِّ.. أتدري برُّ
مَنْ؟ قلتُ لا. قال: دعاك إلى برِّ فاطمة وولدها.)

هذا أنموذجٌ ومثالٌ في جوِّ العباداتِ والعقائدِ وفي جوِّ العِلْمِ والمعرفةِ والثقافةِ
الدينيّةِ عند مُحمّدٍ وآلِ مُحمّدٍ تتساوى فيه الآثارُ فيما بين عليٍّ وفاطمة.. تلكَ
إشاراتٌ واضحةٌ إلى الكفاءة، إلى الوحدة، إلى إمامة عليٍّ وإمامة فاطمة في
نفس الوقت.